

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة جمعة / الآيات ١٣-١٨ سورة إبراهيم

جامع الملك فيصل - إسلام آباد ١٨/١٠/١٤٢٤ هـ

موضوع الخطبة : الصراع بين الحق والباطل في الإخراج من البلدان .

عناصرها : الخطبة الأولى : وعيد الكفار في ذلك

وعيد هم لإخراج نوح .

وعيدهم لإخراج شعيب

وعيدهم لإخراج لوط .

وعيدهم لإخراج محمد صلى الله عليه وسلم .

كيفية إخراج محمد (صلى الله عليه وسلم)

الخطبة الثانية : عاقبة ذلك ونتيجته .

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا نجاة له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليفه ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } {يا أيها الذين اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } .

عباد الله، إن الصراع بين الحق الباطل قدس قدم البشرية، فأول عدو لبني آدم هو إبليس، الذي تعهد بإغواء البشرية قائلاً : {فبعزتكم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين} .

وما زال الصراع بين الحق الباطل مستمراً إلى قيام الساعة، تتعدد أشكاله، ويتنوع رجاله على مرور الزمان، ويصور لنا القرآن الكريم جانباً من ذلك الصراع ، قال سبحانه وتعالى : {وقال الذين كفروا لرسولهم: لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم . ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد . . واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . . واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما يمت ومن ورائه عذاب غليظ . مثل الذين كفروا برؤسهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في عاصف لا يقدرון مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد } .

جانب من الصراع، يبدو فيه الكفرة الطغاة الجبابرة في صف ورسول الله في صف آخر، فيه يسفر الطغيان عن وجهه . لا يجادل ولا يناقش ولا يفكر ولا يتعقل ، فيسفر بالقوة المادية الغليظة التي لا يملك غيرها.

تهديد ووعيد من أولئك الطغاة، لرسول الله ، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به: {لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا } الآية. وكما قال قوم لوط: {أخرجوا آل لوط من قريتك} الآية. وقال تعالى إخباراً عن مشركي قريش: {وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً} وقال تعالى: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} .

إنهم يزعمون ملكية الأرض والتصرف بها، وتحديد ساكنيها، هنا تتجلى حقيقة المعركة وطبيعتها بين الإسلام والجاهلية . . إن الجاهلية لا ترضى من الإسلام أن يكون له كيان مستقل عنها . ولا تطيق أن يكون له وجود خارج عن وجودها . وهي لا تسالم الإسلام حتى لو سالمها . لذلك لا يطلب الذين كفروا من رسلهم مجرد أن يكفوا عن دعوتهم ؛ ولكن يطلبون منهم أن يعودوا في ملتهم ، وأن يندمجوا في تجمعهم الجاهلي ، وأن يذوبوا في مجتمعهم فلا يبقى لهم كيان مستقل .

أيها المؤمنون، إن الله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن عباده المؤمنين ورسله الصادقين، فجاءهم الوحي من عند الله بإهلاك أعدائهم ، والتمكين للرسل وأتباعهم في الأرض ، فأوحى إليهم ربهم: {لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم} وكما قال: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون} . وقال تعالى: {كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز} . وقال تعالى: {ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر} الآية.

وقال موسى لقومه {استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين} .

ولكن النصر بشرطه: ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد . . ذلك الإسكان والاستخلاف لمن خاف مقامي ، فلم يتناول ولم يتعال ولم يستكبر ولم يتجبر . وخاف وعيد ، فحسب حسابه ، واتقى أسبابه ، فلم يفسد في الأرض ، ولم يظلم في الناس . فهو من ثم يستحق الاستخلاف ، ويناله باستحقاق .

عباد الله تعالوا بنا نقف مع أنموذج واحد من ذلك الإخراج، والنصر الذي تحقق من بعده ، إنه إخراج أفضل الأنبياء من بلده الذي أحبه، وهو مكة ، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين . . ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقي النهار بكرة وعشية ... فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه

الساعة إلا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهللك بأبي أنت يا رسول الله قال فإني قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهازناهما أحت الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينقع بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية... وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحليتهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل . وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل

عليه برءائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مریدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمرید ليتخذة مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا.

الخطبة الثانية

عباد الله ، ما هي النتيجة ، وما جزاء أولئك المتجبرين المتكبرين في الأرض ، الطغاة الكفرة، إن الأمر لم يتوقف على هزيمتهم في الدنيا فحسب ، بل لهم ميعاد آخر ، وعقاب أشد وأنكى ، { واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد . يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ، ومن ورائه عذاب غليظ } . .

إنه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد . مشهد الخيبة في هذه الأرض . ولكنه يقف هذا الموقف ، ومن ورائه تخاليل جهنم وصورته فيها ، ويتأنيه من العذاب صنوف:-
١ - وهو يسقى من الصديد السائل من الجسوم . وقال مجاهد وعكرمة الصديد من القيح والدم وقال قتادة هو ما يسيل سيل من لحمه وجلده . يسقاه بعنف فيتجرعه غصبا وكرها ، ولا يكاد يسيغه ، لقدارته ومرارته، والتقزز والتكره باديان نكاد نلمحها من خلال الكلمات !

٢ - ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان ، ولكنه لا يموت ، ليستكمل عذابه . {ويأتيه الموت من كل مكان} أي يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه قال ميمون بن مهران من كل عظم وعصب وعرق وقال عكرمة حتى من أطراف شعره وقال إبراهيم التيمي من موضع كل شعرة أي من جسده وقال ابن جرير ويأتيه الموت من كل مكان أي من أمامه وخلفه وفي رواية وعن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحت أرجله ومن سائر أعضاء جسده وقال الضحاك عن ابن عباس ويأتيه الموت من كل مكان قال أنواع العذاب الذي يعذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت، ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال { لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها } .

٣ - ومن ورائه عذاب غليظ ، أي وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ أي مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله وأدهى وأمر... .

عباد الله إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنى فيه بملائكته،

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، اللهم اغفر لموتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة ، اللهم اغفر لم وارحمهم ، وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم ، اللهم ارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه ، اللهم ارحمنا إذا علانا التراب وفارقنا الأهل والأحباب ، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا ، وما أنت أعلم به به منها ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير .

عباد الله ، { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون } فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .